تـأملات في مفردات الدلالة على الإنسان في القرآن

إعداد

د . حسنيه عبدالله حسن حويج

أستاذ التفسير المساعد

جامعة البلقاء التطبيقية – عمان – الأردن

ملخص البحث

تنوّعت مفردات الدلالة على الإنسان في القــرآن الكــريم تبعــاً لاختلاف السياق الذي ذُكرت فيه، حيث ذُكرت مفردة (إنسان) ومشتقاتها، أو مفردة (بشر)، أو النداء (يا بني آدم)، أو غيرها من المفردات، وغايــة هذه الدراسة بيان الفروق المعنويّة الدقيقة بين تلك المفردات في السياقات التي ذُكرت فيها، مسترشدة بالدلالة اللغوية وما تشير إليه الأحاديث النبويّة –إن وجدت– وبما يفتح به الكريم المنان، راجية العفو عــن تقصــير أو غفلة.

Allah (SWT) has mentioned Humans at AL Quran in different way; where sometimes he said "Human" in a singular from, other times he used "Humans" in plural form and "Sons of Adam" in other cases and many other different words. The aim of this study is to state the differences between the meanings of those words in Al Quran guided by the indications of linguistics form of the word ,and refers to Al Ahadith Al Shareefa -what prophet Mohammed PBUH has stated verbally or by action -, if any.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن منهجاً منيراً، والصلاة والسلام على من أصبح به من بعد أُميّة للعالمين معلِّماً ونذيراً، وعلى آله أرباب سفينة النجاة الطيبين الطاهرين و من والاهم إلى يوم الدين .. **أما بعد:**

فقد تنوَّعت مفردات الدلالة على الإنسان في القرآن الكريم تبعاً لاختلاف السياق الذي ذُكرت فيه، حيث ذُكرت مفردة (إنسان) ومشتقاتها، أو (بشر)، أو (الجبلَّة)، أو (البريَّة) ، أو النداء (يا بني آدم). وغاية هذه الدراسة بيان الفروق المعنويّة الدقيقة بين تلك المفردات في سياقاتها المختلفة، هذا ولم أجد في الدراسات السابقة من استقصى تلك المفردات بدراسة مقارنة للمتشابهات القرآنية كما هي الغاية المرجاة من هذه الدراسة، إلا ما ذكرته بنت الشاطئ[١]عن الفرق بين مفردتي: (إنسان و بشر) في كتابها القرآن وقضايا الإنسان، وكذلك كتب العقاد:[٢] عن الإنسان، لكن لم يكن موضوعهما المقارنة بين المتشابهات.

وجعلتها في مبحثين: الأول في الفرق بين مفردتي (إنسان) ومشتقاتها، أو مفردة (بشر)، والثاني في بقية المفردات، ثم لخّصت في الخاتمة أبرز ما خلُصت إليه هذه الدراسة، التي أحمدالله –تعالى–أن أعانني على إتمامها وأدعوه–بفضله–أن ينفع بها ويتكرَّم عن أي تقصير أو هفوة بالصفح والغفران؛ إنه هو الكريم المنان.

مسوغات الدراسة:

١- محاولة إلقاء الضوء على نوع من الإعجاز البياني، بلفت الأنظار

(١)عائشة عبد الرحمن (١٩١٣–١٩٩٨م)، القرآن وقضايا الإنسان ١٥–٢٥، دار المعارف/القاهرة

(٢) عباس محمود (١٨٨٩–١٩٦٤م) الإنسان في القرآن الكريم، من ص ٩–٦٣ ، دار الإسلام/ القاهرة

إلى المفردات القرآنية من حيث دقة الفروق بين معانيها ومن ثمّ حسُن تبوّئها مواقعها من الكتاب العظيم؛ لتأدية وظيفتها من البيان، بما لا يمكن صنعه إلا من حكيم عليم، و بما ينفي الريب عن قدرة بشر مهما بلغ من فصاحة لسان وبلاغة كلام؛ أن يأتي بمثل هذا القرآن، وكفى بذلك دليلا قاطعاً على صدق سيد الأنام، عليه وآله أزكى الصلاة والسلام: " وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤)".

٢- محاولة إظهار جمال اللغة العظيمة التي تنّكر لها أهلها وأداروا لها ظهراً.

٣- التأكيد على أن كتابنا العظيم لا يمكن فهمه إلا بفهم الوعاء الذي تشرّف باحتوائه.

٤- بيان أهمية السياق القرآني في إظهار الفروق الدقيقة بين المفردات القرآنية خاصة، واللغوية على وجه العموم.

٥- بيان أن مفردات القرآن العظيم لا حدّ لسعة معانيها على مدى الأزمان.

منهج الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة منهج الاستقراء التام لتلك المفردات في سياقاتها المختلفة في القرآن الكريم، و وذكرت ما قاله أئمة أهل اللغة و التفسير في ذلك، ثم اخترت ما ترجّح منها بما وجدته متوافقاً مع روح النص وسياق الكلام، وبما فتح به الكريم المنان، كذلك استرشدت بدلالة الحديث الشريف الذي ذُكرت فيه بعض تلك المفردات.

المبحث الأول

في بيان الفرق بين مفردتي (إنسان ومشتقاتها، أو بشر)

ذُكرت مفردة (الإنسان) بهذه الصيغة في القرآن الكريم خمسا وستين مرة[١]، وكانت معرّفة دائماً إلا مرة واحدة في سورة الإسراء[٢]، وذكرت مفردة (إنسياً)[٣] مرة واحدة، وكذلك مفردة (أناسيّ)[٤]، و ذُكرت بالجمع (أناس)[٥] خمس مرات، وذُكرت مشتقاتها مثل إنس وآنس ومستأنسين... خمساً وعشرين مرة، وذُكرت (الناس) أربعون ومائتي مرة [٦]، ولم تأتِ صيغة (إنس) إلا فيما يقابل (الجن)[٧].

---

(١)عبد الباقي: محمد فؤاد (١٨٨٢-١٩٦٧م) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٩٣، دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

(٢) آية ١٣.

(٣) الإنسيّ: الإنسان، والياء فيه للنسب إلى الإنس، وهو اسم جمع (إنسان)، انظر ابن عاشور: محمد الطاهر (١٢٩٦-١٣٩٣ه،١٨٧٩-١٩٧٣م)، التحرير والتنوير8/٤٦٦، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ، مؤسسة التاريخ/ بيروت.

(٤) الأناسيَّ:جمع إنسان وجمع أناس وجمع إنس، انظر الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير الآملي (٢٢٤- ٣١٠ه)، جامع البيان في تأويل القرآن٢٦٩/١٩، المحقق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، و الراغب: أبو القاسم، الحسين بن محمد(ت ٥٠٢ ه) مفردات القرآن 28 تحقيق: محمد سيد كيلاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦١م، وأبو حيان: محمد بن يوسف(٧٤٥-٧٥٤ه)، البحر المحيط ٣٧٢/٨، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية/ بيروت ٢٠٠١م.

(٥) ذُكرت مرتين في سياق الحديث عن جمع أسباط بني إسرائيل: "قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ" (١٦٠) (البقرة) وفي (الأعراف١٦٠)، ومرتين مرة على لسان قوم لوط: "إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ" (٨٢) (الأعراف) و(النمل ٥٦) ومرة في سياق الحديث عن مشهد من مشاهد يوم القيامة " يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ " (٧١) (الإسراء)، وأُناس: اسم جمع لا واحد له من لفظه، كما قال أبو حيان: البحر المحيط ٢٩٠/١.

(٦) عبد الباقي: المعجم المفهرس ٧٢٦-٧٢٩، وأصله أُناس فلما سكنت الهمزة أدغمت اللام، وقيل: الناس لغة مفردة من النوس وهو الحركة، والأناس لغة أخرى، العسكري: أبو هلال، الحسن بن عبدالله (ت ٤٠٠ه) الفروق اللغوية ٣٠٦، علّق عليه: محمد باسل عيون السود، طبعة أولى ٢٠٠٠م دار الكتب العلمية/ بيروت.

وذُكرت مفردة (بشر) ستاً وثلاثين مرة مفردة، ومرة واحدة[١] مثناة، وذُكرت مشتقاتها ستاً وثمانين مرة[٢]، ويُعبَّر فيها عن الواحد والجمع[٣] على السواء، ويجمع المفردتين معنى لغوي واحد وهو الظهور[٤]، مع حسُن وجمال في (بشر)[٥]، وما هو ضد النسيان أو النفور في مفردة (الإنسان)[٦]، وجاءت في سياق واحد مع مفردة (إنس) في سورة مريم في قوله **تعالى:** " **فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً (٢٦)**". (مريم)، وحيث إن المراد التعبير عن الهيأة في حال الرؤية–والله أعلم– فناسب مجيء (بشر) أما الكلام فلا يكون إلا بين متآلفين فجاءت (إنسياً). وفيما يلي السياقات التي ذُكرت فيها كل من المفردتين في القرآن الكريم:-

الإنسان :

استقرأت السور[٧] التي ذُكرت فيها مفردة (الإنسان) في القرآن الكريم فوجدتها لا تأتي إلا في سياق الحديث عن هذا المخلوق بهيأته التكامُلية،

=

(٧)عبد الباقي: المعجم المفهرس ٩٣.

(١)قوله تعالى: " فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ" (٤٧) المؤمنون.

(٢)عبد الباقي: المعجم المفهرس١١٩.

(٣)الراغب: المفردات ٤٧.

(٤)ابن فارس: أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة ٧٦،١١٧، تحقيق: عبد السلام هارون طبعة ١٩٧٩م، دار الكتب، الراغب: المفردات ٢٨-٤٦، ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب ٥٩/٤ طبعة أولى، دار صادر/ بيروت.

(٥)العسكري:الفروق اللغوية ٣٠٩.

(٦)إن انشقاق لفظ (الإنسان) من النسيان يقتضي مخالفته البهيمة ولا يكون النسيان إلا بعد العلم، فسُميَّ الإنسان إنساناً؛ لأنه ينسى ما علمه، وسُمّيت البهيمة بهيمة؛ لأنها أُبهمت عن العلم والفهم، انظر العسكري ٣٠٧، وعلى مذهب بعضهم أنه مشتق من الإيناس وهو الإبصار وهو ضد النفور حيث الإنسان مدنيّ بطبعه، انظر الراغب: المفردات ٢٨، ابن منظور: لسان العرب مادة أنس ٢٣٥/١.

(٧) وعددها ٤٢ سورة.

نفساً وعقلاً وروحاً ووجداناً، أي المخلوق الذي له أهلية الخطاب، {فجملة هذه القوى من النفس والعقل والروح هي "الذات الإنسانية" تدُلُّ كل قوة منها على "الذات الإنسانية" بأية صورة من صور التعدد؛ لأنها ذات نفس أو ذات روح أو ذات عقل، فإنما هي إنسان واحد في جميع هذه الحالات..}[٨].

ومن أدلة ذلك قوله تعالى: "**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢)**" (الإنسان)، حيث لا يُعقل الابتلاء إلا بعد الاكتمال، و قال تعالى: "**خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤)**". (النحل)[١] فلا يكون خصيماً مبيناً كذلك إن كان ناقص الأهلية، وكذا ألزمه –تعالى– تبعة أعماله: " **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً (١٣)**" (الإسراء): " **وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى (٣٩)**" (النجم) وأوصاه بوالديه " **وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً (٨)**" (العنكبوت)[٢]، ولا يُلزم بذلك و يُوصى به إلا القادر عليه، ثم حمّله أمانة التكليف: " **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (٧٢)**" (الأحزاب) ولا يُحمّل أمانة التكليف إلا كامل الأهلية، وهكذا في جميع السياقات التي ذُكرت فيها هذه المفردة (الإنسان)، إلا ما جاء منها في مقابل مفردة (الجان).

وتأتي مفردة (الإنسان) غالبا بعد ذكر السموات والأرض، ويغلب على افتتاحية السور التي تُذكر فيها مجيء اسم الله (الحكيم) أو يُذكر هذا

---

(٨) العقاد: الإنسان في القرآن ١٨٥.

(١) و يس (٧٧).

(٢) و العنكبوت (٨) ولقمان (١٤) والأحقاف (١٥).

الاسم الجليل قبل هذه المفردة أو بعدها، وقد يكثُر مجيئه في السورة التي تُذكر فيها هذه المفردة؛ ولعلَّ النكتة في ذلكما لفت انتباه هذا المخلوق إلى عظمة الخالق-سبحانه- بذكر أكبر مخلوقاته[٣] التي سخّرها بحكمته -تعالى- إلى الإنسان؛ ليكون هذا الإنسان حكيماً في اختياره منهج الصراط المستقيم، كيف لا ؟ وهو المخلوق الذي أنعم عليه مولاه بأسباب القوة ومكّنه ما لم يمكّن به أحداً من خلقه؛ ليسري بروحه إلى عالم الملكوت، هذا ما استنبطه من كون سورة الإسراء هي السورة الأكثر ذكراً بين سور القرآن الكريم لهذه المفردة (الإنسان)[٤]، و هي أيضا الأكثر ذكراً لمفردة (القرآن) مما يزيد القلب اطمئناناً، ويشرح الصدر إيماناً، بأن هذا الكتاب هو المنهج الوحيد الذي يحقق إنسانية هذا المخلوق؛ فيسمو إلى الأعالي عروجاً بقدر تفاعله مع القرآن، تلتها في ذكر هذه المفردة (الإنسان) سورة القيامة[٥]، التي جاءت لتُذكّر الإنسان بحتمية مجيء اليوم الذي هو عنه لاه: " فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى (٣١)" فهو لم يُخلق ليترك سدى: " **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)**"بل الذي أنشأه في الأولى قادر على أن يسوي حتى بنانه: "**بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)**"، غير أنّ الإنسان يريد ليفجُر أمامه: "**بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥)**" لذا يسأل باستغراب: " **أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)**"؟ فتبيّن هذه السورة الكريمة للإنسان حقيقة ما يجري في ذلك اليوم، من انقلابات كونية واضطرابات نفسية [١]

---

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: "لَخَلْقُ السَّمَوَاتِوَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٥٧)" (غافر)

(٤) ذُكرت فيها مفردة الإنسان سبع مرات ومفردة القرآن عشر مرات.

(٥) عددها ست مرات.

(١) قطب: سيد إبراهيم حسين الشاذلي(١٩٠٦-١٩٦٦م) في ظلال القرآن ٣٧٦٦/٦ ، الطبعة الثانية =

، بحيث لا يجد ملجأ من الله –تعالى– إلا إليه: " **كَلاَّ لا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢)**" عندها يواجه مصيره: "**يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣)**"فكان الأجدر به أن يطيع الذي صيّره من نطفة إلى علقة إلى ذكر أو أنثى؛ إذن فهو القادر على أن يحيي الموتى: " **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠)**"، وتأتي بعد هذه السورة مباشرة، السورة التي سُمّيت باسم (الإنسان)؛ لتذكره حتى بما قبل نشأته: " **هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (١)**" ثم صيّره القدير من العدم إلى النطفة المختلطة إلى الإنسان المتمكن كامل الأهلية، الحر في اختياره: "**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٣)**" (الإنسان)؛ فأصبح بذلك جديراً أن يحمل أمانة التكليف، أي إن مولاه – تعالى– ما حمّله الأمانة إلا بعد أن أتاح له من الحرية بعد التمكين و البيان، ما به يفوز بسعادة الجنان؛ فكانت سورة (الإنسان) هي الأطول من بين سور القرآن ذكراً لنعيم الآخرة[٢]، ثم ذّكرته هذه السورة الكريمة أنه إن اختار المعصية فليس هو خارجاً عن مشيئة الله المطلقة، فلو شاء – تعالى– لأجبره على الهدى قسراً: "**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (٣٠)**" (الإنسان).

وكذلك أفاد الاستقراء لهذه المفردة (الإنسان) أنها لا تأتي إلا في سياق ذكر صفات السلب لهذا المخلوق، وفي مقدمتها صفة الضعف، و جاء ذلك

=

عشر ١٩٨٦م، دار العلم للطباعة والنشر.

(٢)قطب: في ظلال القرآن ٦/٣٧٧٧–٣٧٧٨.

في أول مرة ذُكرت فيها هذه المفردة في القرآن الكريم في سورة النساء، وكانت في سياق الحديث عن إباحة الزواج من الإماء، لمن لم يستطع طول المحصنات، وعجز عن الصبر، وذلك الحكم تخفيفاًعن الإنسان ورحمةً به:" **يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً (٢٨)**" (النساء).

وهكذا ذُكرت الصفات الأخرى في سياق الحديث عن كثرة نعم الله على الإنسان، لكنّه مع كل هذه النعم كان يؤوساً[١] ظلوماً كفّاراً جاحداً[٢] لهذه النعم، وعلى الرغم من ضعف مادة خلقه –النطفة–[٣] إلا إنه خصيم مبين[٤]، و هو عجول[٥]، يعرض في حال النعمة ويؤوس[٦] إن مسه الشر، وهو كذلك قتور وإن ملك خزائن الأرض[٨]، وهو أكثر شيء جدلاً[٩]، و دائم النسيان حتى إنه ينسى[١٠] خلقه الأول؛ فيُنكر البعث. كذلك جاءت هذه المفردة في سياق الحديث عن مراحل خلق الإنسان[١١].

لكن على الرغم من كل صفات السلب عند الإنسان سواءً منها الخَلقية

(١) هود (٩).

(٢) إبراهيم (٣٤)، و الحجر (٢٥).

(٣) النطفة: الماء الصافي، ويُعبّر بها عن ماء الرجل، ويُكنّى عن اللؤلؤة بالنطفة، انظر الراغب: المفردات ٤٩٦، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٩٩٥.

(٤) النحل (٤).

(٥) الإسراء(٦٧) و الأنبياء (٣٧).

(٦) الإسراء (٨٣ و١٠٠) وفصلت (٤٩–٥١).

(٨) الإسراء(١٠٠).

(٩) الكهف (٥٤).

(١٠) مريم (٦٦) و الزمر (٨،٤٩) ، حيث ذكر أنه نسي ما كان يدعو إليه.

(١١) انظر على سبيل المثال، سور: المؤمنون (١٢) والعنكبوت (٨) و لقمان (١٤) و الأحقاف (١٥).

أم الخُلُقية إلا إنه أهل لحمل أمانة التكليف[١٢] التي أبت حملها السموات والأرض والجبال، وأشفقن منها[١٣] –وإن ظلم وجهل تبعاتها[١٤] وإن كان دائم الوقوع تحت تأثير وسوسة النفس–[١٥]، وهو كذلك أهل للارتقاء بالعلم بفضل الرحمن[١٦] الذي علمه البيان، وهناك صفة ملازمة لمراحل حياة الإنسان كلها، وهي أنه: " **خُلِقَ هَلُوعاً (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢)**" (المعارج).

فالمصلون هم وحدهم الذين بقوا على أصل خلقتهم: في أحسن تقويم[١]، لذا فهم الفائزون بما يفوق بعض الملائكة منزلة، أما من فرّط في صلاته، فهو أدنى من البهائم{حين ينحرف بفطرته عن الخط الذي هداه الله إليه فيصبح أسفل سافلين[٢]؛ لأن البهائم مستقيمة على فطرتها وتسبيح ربها وأداء وظيفتها في الأرض على هدى، بينما هو المخلوق في أحسن تقويم[٣]، يجحد ربه، وينتكس مع هواه، إلى درك لا تملك البهيمة أن

---

(١٢) حيث منحه الله – تعالى– العقل والإدراك ليميّز بين الحق والباطل، قال تعالى في سورة الإنسان: فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢)، ومنحه الحرية: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٣)" ليكون بعقله وحريته أهلاً لتحمّل المسؤولية، انظر مغنية: محمد جواد(ت١٣٢٢/١٤٠٠هـ-١٩٠٤/١٩٧٩م)، التفسير الكاشف ٤٧٨/٧، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين/بيروت.

(١٣)إشارة إلى آية الأحزاب ٧٢.

(١٤)الأحزاب (٧٢).

(١٥)ق (١٦).

(١٦)الرحمن (٣،١٤).

(١)سورة التين.

(٢)إشارة إلى الآية ٥ من سورة التين.

(٣)فسّر بعضهم أحسن تقويم من الناحية الخَلقية: أي في أحسن صورة، انظر الطبري: جامع البيان ٢٤٢-٢٤٣.

ترتكس إليه}[٤]. لذلك أقسم خالق الإنسان -سبحانه- في سورة العصر وهي آخر سورة ذُكرت فيها هذه المفردة (الإنسان) بخسران هذا المخلوق، إن لم يتغلّب على خصال ضعفه، ويكون من المؤمنين العاملين بالصالحات المتواصين بالحق المتواصين بالصبر[٥] . تلك هي الدلالات التي حملتها هذه المفردة (الإنسان) بتسلسل ترتيبها في السور التي ذُكرت فيها في القرآن الكريم من حيث الإفراد، وجاءت بالجمع (الناس)[٦] بمعنى {الذين يتحركون في الحياة على هدى إنسانيتهم في أصالتها الفكرية، وشعورها المنفتح على الحقيقة، وجهدها المتحرك في خط الفكر الأصيل، بعيداً عن عناصر الخصوصيات القومية والجغرافية والعرفية، سواءً كنتم مؤمنين أم كافرين، فهذا هو النداء الذي ينفذ إلى أعماقكم ويستثير فيها الحركة نحو عبادة الله}[٧] وجاء ذلك في أول مرة ذُكرت فيها هذه المفردة (الناس) في سورة البقرة[٨] ، أمّا آخرها ذكراً، فهو موضوع سورة (الناس) وجاء تحذيراً عاماً للناس كافّة من وساوس عدوهم الأول؛

---

(٤)قطب: في ظلال القرآن ٣٩٣٣/٦ ، بتصرف، و انظر العقاد: الإنسان في القرآن الكريم من ص ٩-٦٣.

(٥)سورة العصر.

(٦)النوس: الحركة، العسكري: ٣٠٩، قد تأتي هذه المفردة في القرآن (الناس) للدلالة على أناس بعينهم، أناس مخصوصين وإن كانت في الأصل دالّة على العموم وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن منها قوله تعالى: "آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً (٤١) آل عمران، وآية ١٧٣، و آية ١١٦ من سورة الأعراف، و٢٦ من الأنفال و٤٩ من سورة يوسف و١٠ من سورة مريم وغيرها.

(٧)فضل الله: محمد حسين(١٩٣٥-٢٠١٠م) من وحي القرآن ١٦٨/١، الطبعة الثانية ١٩٩٨م، دار الملاك.

(٨)آية ٢١.

الشيطان، وما بين السورتين بيان لأصناف الناس من حيثيات متعددة[٩]، أو نداءات متكررة؛ بالعبادة[١٠]وبالتقوى[١] والتذكير بفقرهم وضعفهم[٢] ونعم الله عليهم[٣] وحتمية مصيرهم خلود في الجحيم أو جنات النعيم، هذا ولم يقتصر القرآن على ذكر تلك الدلالات في بيان صفات الإنسان، بل ذكر في سياقات أخرى بغير هذه المفردة (الإنسان)، ما امتاز به الإنسان عن سائر المخلوقات؛ مما يؤهله كذلك لحمل أمانة الخلافة في الأرض وإعمارها: من تسخير لقوى الكون، ومن حرية الإرادة، ومن قوى عقلية هائلة، ومن تكريم لهذا المخلوق على سائر المخلوقات؛ مما يعينه على أداء وظيفته على أكمل وجه.

بشر :

أما مفردة (بشر)[٤] فجاءت في سياق الحديث عن هذا المخلوق بهيئته المكوّن من كتلة لباسُها الظاهر للعيان بشرة، التي هي ظاهر الجلد[٥] بخلاف المخلوقات الأخرى التي يكسوها الشعر أو الوبر أو الصوف، فالمُعتبر في هذا المخلوق بهذا التعبير هو تلك الجثة، قال تعالى:" **وَهُوَ**

---

(٩)وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن منها: تصنيفهم من حيث الجنس: ذكر وأنثى آية ١٣ من سورة الحجرات، و من حيث الأشكال والألوان آية ٢٨ من سورة فاطر، و من حيث الإيمان والكفر والنفاق من الآية ٨– ١٣من سورة البقرة، و من حيث الجدال في الله– تعالى– بغير علم آية ٣ و٨ من سورة الحج و٢٠ لقمان، وغير ذلك من الأصناف والأمثلة.

(١٠)آية ٢١ من سورة البقرة.

(١)آية ١ من سورة الحج و ٣٣ لقمان.

(٢)آية ١٥ من سورة فاطر.

(٣)آية ٣ من سورة فاطر.

(٤)ذُكرت مشتقاتها ٨٦ مرة.

(٥)انظر الراغب: مفردات القرآن ٤٧، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ١١٧.

الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً (٥٤)". (الفرقان)، فكل موضع يتساوى فيه الناس بهذه الصفة عبّر القرآن عنها بلفظ (بشر)[٦]، ثم هم يتفاضلون بعد ذلك بما يختصون به من معارف جليلة، وأعمال جميلة، لذلك كان يردّ القرآن على كل من يعترضون على بشرية الأنبياء بأن هؤلاء الأكارم، وإن كانوا بشراً، لكنهم فُضّلوا بالوحي:" **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ (١١٠)**" (الكهف). و جاءت المفردتان متتابعتان في القرآن في سورة واحدة[٧] وهي قوله تعالى: " **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨)**". (الحجر). وربما يُظن للوهلة الأولى أن المفردتين مترادفتان[٨]، والذي يبدو لي –والله أعلم– أن مفردة (الإنسان) جاءت هنا في مقابل مفردة الجان، لأن لفظ (الإنسان) يدلُّ على الظهور، في حين يدلُّ الآخر على الستر والخفاء، أما عند إخبار المولى –تعالى– الملائكة عن مادة خلق الإنسان فجاء بتعبير (بشر) حيث المُعتبر الإشارة إلى كتلته المادية ، ثم ذكر–سبحانه– ما يدلُّ على شرف هذا المخلوق ومزاياه "**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩)**" (الحجر).

(٦)وبشرية الأنبياء شبهة أثارها الملحدون قديماً، انظر الآيات هود ٢٧، الإسراء ٩٤، المؤمنون ٣٤.

(٧)وردت المفردتان كذلك في سورة مريم بتغيير الصيغة (إنسي) آية ٢٦.

(٨)وهذا ما ذكره ابن عاشور: التحرير والتنوير٧/٤٧٦.

المبحث الثاني

في مفردات الدلالة الأخرى

لم تُذكر المفردات الأخرى للإنسان في القرآن كل منها إلا مرة أو مرتين، سوى خطاب النداء(يا بني آدم) حيث ذُكر سبع مرات، خمس منها في سورة الأعراف. وفيما يلي بيان معاني تلك المفردات في اللغة والسياقات التي ذُكرت فيها:

أنام(١):

جاءت هذه المفردة في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الرحمن. وذكر المفسرون أقوالاً في المُراد بها: أهُم الخلق جميعهم؟[٢] أي كل ما على الأرض من دابة، أو هم الإنس والجن؟ أو الإنس فقط. وهذا الأخير رجّحه ابن عاشور[٣] واستدلَّ له بالسياق؛ لأنه في مقام الامتنان والاعتناء بالبشر.

والذي أرجّحه أن المُراد بالأنام: الخلق أجمعين؛ وذلك استنباطاً من الجو العام للسورة التي ذُكرت تلك المفردة فيها (الرحمن)، حيث إن هذه

---

(١)لم أجد لهذه المفردة ذكراً في كتب اللغة إلا نادراً منها ما ذكره ابن منظور: الأنام: ما ظهر على الأرض من جميع الخلق، انظر لسان العرب مادة أنم ٢٤١/١.

(٢)الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت ٥٣٨ هـ) الكشاف ٤٤/٤ ، دار المعرفة / بيروت.

الطبري: جامع البيان ١٦/٢٢، أبو حيان: البحر المحيط ١٨٩/١٠، الآلوسي: شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني(١٨٠٢-١٨٥٢م)، روح المعاني ١٢٠/٢٠، ضبطه وصحّحه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية / بيروت.

(٣)ابن عاشور: التحرير والتنوير ٢٨١/١٤، الرازي:أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الملقب بفخر الدين (ت ٦٠٦ هـ)، مفاتيح الغيب ١٦/15، الطبعة الثالثة ١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي/بيروت .هذا ما فهمته من كلام الرازي.

السورة كما قال سيد قطب –رحمه الله–: {هي إعلان عام في ساحة الوجود الكبير، وإعلام بآلاء الله الباهرة الظاهرة، في جميل صنعه وإبداع خلقه، وفي فيض نعمائه، وفي تدبيره للوجود وما فيه، وتوجّه الخلائق كلها إلى وجهه الكريم.. }[٤]. وحيث لم تُذكر هذه المفردة إلا في هذا الجو، جو الرحمة من الرحمن؛ الذي تجلّت رحمته على كل شيء، فالأرجح أنها تعني كل الخلائق؛ لتناسب الجو العام للسورة الكريمة، أي تجلي رحمة الرحمن– جلَّ وعلى– على جميع مخلوقاته.

البريّة:

ذُكرت هذه المفردة مرتين في القرآن الكريم في سورة البيّنة، وذُكرت مشتقاتها تسعاً وعشرين مرة[١] ، وأصل البُرْء والبراء والتبري في اللغة، هو {التقصي مما يكره مجاورته، ولذلك قيل: برأت من المرض، وبرأت من فلان.. والبرية: الخلق، قيل أصله الهمز فتُرك، وقيل ذلك من قولهم: بريت العود، وسميت برية لكونها مبريّة عن البري أي التراب .. }[٢] وقال ابن فارس: {فأما الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب: أحدهما الخلق يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم بُرءا .. والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايلته: من ذلك البرء، وهو السلامة من السقم}[٣]. وقيل إن كان هذا اللفظ من البري[٤] أي التراب فهو مختص

(٤)قطب: في ظلال القرآن ٩٢/٧.

(١)عبد الباقي: المعجم المفهرس ١١٦.

(٢)الراغب: مفردات القران ٤٥.

(٣)ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ١١١، وانظر العسكري: الفروق اللغوية ٣٠٨.

(٤)هذا ما نقله ابن عاشور عن بعضهم ورجَّح هو كونه غير مختص: التحرير والتنوير ٢١/١٥.

بالإنسان، وإن كان من البرأ بالهمز فليس مختص به. واختار صاحب الكشاف[٥] كونه مهموزا وهو بالتالي ليس مختصاً بالإنسان، ورجّحه غيره من المفسرين[٦]. وهو الصواب –والله أعلم– بقرينة الحديث الشريف: "من شر ما خلق وذرأ وبرأ"[٧] وقوله –عليه السلام–: "لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة"[٨].

والذي يؤكد هذا الترجيح كذلك، هو موضوع السورة الكريمة واسمها، فهي تتحدث عن ضرورة مجيء البيّنة (رسول الله)– صلى الله عليه وآله وسلم– ليُنقذ البشرية مما وصلت إليه من الكفر والضلال، سواء منهم أهل الكتاب أو المشركون، ولم يكن ضلال أهل الكتاب عن جهل وإنما عن بيّنة، "**وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ** (٤)"البيّنة، مع أن الدين في أصله واحد، وقواعده لا تدعوا إلى التفرق والاختلاف في ذاتها ومصدرها، لذا فإن الذين كفروا بعد ما جاءتهم البيّنة، هم شر البرية، فهم أشد شراً حتى من الشياطين[١]؛ وذلك لأنهم جاءتهم

---

(٥)الزمخشري: الكشاف ٣٥/٧.

(٦)منهم الطبري: جامع البيان ٢٣/ ٣٠٥، الرازي: مفاتيح الغيب ١٠٩/٢، أبو السعود: محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) إرشاد العقل السليم ٣٥/٧، دار إحياء التراث العربي /بيروت، ابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (٧٠٠-٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم ٨٠/٨ ، تحقيق: سامي بن محمد سلامه، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، دار طيبه للنشر والتوزيع.

(٧)أخرجه الطبراني: أبو القاسم (٢٦٠-٣٦٠ه) في (الأوسط) وفي (الدعاء) وصحّحه الألباني، محمد ناصر الدين، في السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف/الرياض.

(٨)مسلم: أبو الحسن، ابن الحجاج القشيري(٢٠٦-٢٦١ه) الصحيح رقم الحديث:٢٦٨٢.

(١)ذكر ابن عاشور أن الاستغراق في لفظ (البرية) عَرفي ، وبالتالي لا اعتبار للشياطين هنا، لأن المشهور في الاستعمال هم البشر، التحرير والتنوير ٣٥٧/١٦.

البيّنة؛ رسولٌ تمثّلت المعجزة في صفاته وخُلُقه، يتلو صحفاً قيّمة الموضوعات، بيّنة البراهين، فكان لزاماً أن يكون من كفر به، أكثر شراً من كل ما برأ الخالق –سبحانه– [٢].

وقد لفت انتباهي أن هذه السورة توسّطت بين سورتي القدر و الزلزلة، والأولى موضوعها ليلة نزول الكتب القيمة التي فيها يُفرق كل أمر حكيم، والثانية تتحدث عن انتهاء الخلق وبالتالي فإنّ بعد هذه البيّنة، ستكون النهاية؛ لأنها النداء الأخير الذي انقسمت البشرية على إثره إلى قسمين: شر البريّة على الإطلاق وخير البريّة على الإطلاق، فكانت هذه المفردة (البريّة) جوهرة في صرح هذه البيّنة، يستحيل على سواها أداء المعنى المراد، فسبحان من أبدع في كل ما أراد.

جبلّة :

ذُكرت هذه المفردة في القرآن الكريم مرتين، الأولى في سورة الشعراء في قوله تعالى:"**وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ (١٨٤)**" (الشعراء) وجاءت في سياق الحديث عن قصة شعيب –عليه السلام– و الثانية في سورة يس[١]، في سياق {خطاب الذين عبدوا معبودات يسوّلها لهم الشيطان، إذ تبدو جهنم بحيث يشار إليها ويعرفون أنها هي جهنم التي كانوا في الدنيا يُنذرون بها وتُذكر لهم في الوعيد مدة الحياة}[٢]. وتعني هذه المفردة[٣] لغة: الخليقة، والجماعة الكثيرة، من (جبل) وهو تجمع الشيء في ارتفاع. وروي عن ابن عباس، أن الجبلّة: الجماعة إذا كانت عشرة

(٢)قطب: في ظلال القرآن ٧٦/٨.

(١)آية ٦٢.

(٢)ابن عاشور: التحرير والتنوير ٦٠/١٢.

(٣)ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٢١٦، الراغب: المفردات ٨٧.

آلاف، أو هي الجماعة الكثيرة مطلقاً [٤]، وقيل (جبّلا): {أي أمماً كباراً عظاماً كانوا كالجبال في قوة العزائم وصعوبة الانقياد}[٥]. ومفردة (الجبل) ذكرت في القرآن كثيراً في سياق الأمر العظيم أو الخير الكثير.

أما عن خصوصية السورتين اللتين ذُكرت فيهما هذه المفردة؛ فإن هناك أكثر من جامع بينهما، منه أن كلتاهما بدأت بالحروف المقطعة، وأن موضوعهما واحد، وهو بناء أسس العقيدة، وأن القصص هو الداعم لهذه الأسس في السورتين. وورد الحديث عن الشعر في كل منهما. وتُدعى سورة الشعراء بسورة الإعلام وهو أحد وسائل الدعوة إلى الله، بل هو أكثرها تأثيراً، وخطورة؛ أما خطورته فلأنه قد يُصوّر الحق باطلاً، والباطل حقاً، ولا يعي ذلك ويميّزه إلا من كان له قلب سليم شعّ فيه نور الإيمان والعلم، فأصبح بفضلهما يفرّق بين الحق و الباطل، بين الشعر و التنزيل، والحقيقة و الخيال، ويزن بميزان الحق الذي نبّه القرآن إلى أهميته و إلى خطورته، وأنذر المطففين فيه من قوم شعيب في سورة الشعراء، وما ميدان الإعلام إلا طافح بالمطففين، وهؤلاء محرّضهم و زعيمهم الأول هو الشيطان، وهذا ما نبّهت إليه سورة (يس) :" **وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢)**"تلك السورة التي أمر المصطفى –صلى الله عليه وآله– بقراءتها على من شارف على الموت[١]، لأن

---

(٤)الآلوسي: روح المعاني ٣٣٨/١٤.

(٥)البقاعي: نظم الدرر ٨٩/٧.

(١)رواه أحمد: أبو عبد الله، الشيباني(١٦٤–٢٤١ه) المسند ١٩٧٨٩، مؤسسة قرطبة/ القاهرة، وأبو داوود: سليمان بن الأشعث (٢٠٢–٢٧٥ه) السنن ٣١٢١، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، عن معقل بن يسار–رضي الله عنه– وضعّفه النووي: أبو زكريا، محي الدين يحيى بن شرف (٦٧٦ه) في "الأذكار"٣٨٤/٢، عبد القادر الأرنؤط، طبعة ١٩٩٤م، دار الفكر للطباعة والنشر/بيروت، وقال ابن حجر: أبو الفضل، أحمد بن علي(٧٧٣–٨٥٢ه) في =

الشيطان لا ييأس من إغواء الإنسان حتى في آخر لحظات حياته، ومن

هنا جاء هذا اللفظ (جبّلا) لتصوير ذلكم العدد الضخم الـذين أضـلّهم الشيطان، أولئك الذين تلاعبوا بالميزان، أياً كان هذا الميـزان ماديـاً أو معنوياً، بل ربما كان للكلمة التأثير الأكثر خطورة، وهذا ما عبّـر عنـه القرآن عندما ضرب مثلاً للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة(٢)، ومـا الشـعر والإعلام إلا كلمة، إما طيبة، وإما خبيثة من ورائها شيطان، ألم تقل العرب إن للشاعر شيطاناً يلهمه، وإن أعذب الشعر أكذبه، وهكذا الإعـلام، لـذا وصف الله –تعالى– كلامه في سورة الشعراء بقوله: " **وَمَا تَنَزَّلَـتْ بِـهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْـتَطِيعُونَ (٢١١)**" ونفـى علـم الشعر عن رسوله الكريم، في سورة يس: " **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩)**" وقد نبّهت سورة الشعراء إلـى أنَّ أصحاب الكلمة هؤلاء منهم مأجورون، وهم أداة الطغاة في كل عصـر؛ يستخدمونهم لتزيين باطلهم ودعمه، فيستخفّون به العامة، وهؤلاء هم مـلأ الفراعنة في كل عصر، يتلوّنون لكل زمان بأحدث ما وصل إليه أهل ذلك الزمان من مخترعات، ترويجاً للباطل ودعماً لأهله؛ فجاءت هذه المفـردة (جبلا) لتعبّر أصدق تعبير عن العدد الضخم الذي يقع في حبـال أولئـك الشياطين، أي عدداً كالجبال ضخامة وقوة وتمكيناً في الأرض من قبل قوم شعيب –عليه السلام–و من بعده، إلى يوم القيامة، حيث صاروا أمام جهنم جميعاً بلا حول ولا قوة.

يا بني آدم :

=

الإصابة ٥/٣٢٤، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل/بيروت: "إسناده حسن" .

(٢)سورة إبراهيم آية ٢٤.

بقي من تلك الأساليب السالفة الذكر أسلوب النداء: "يا بني آدم"، وقد ذُكر هذا الأسلوب في القرآن الكريم في مواضع سبعة، خمسة منها في سورة الأعراف، وواحد في الإسراء ، وآخر في سورة يس. وجاء في سورة الأعراف {بعد أن قصّ الله تعالى على بني آدم قصة نشأتهم الأولى وما خُلقوا مستعدين له من السعادة ونعيم الجنة، وما يصدّهم عن ذلك من وسوسة الشيطان وإغوائه، رتبّ عليها هذه النصائح(٣) الهادية لهم إلى أقوم طرق تربيتهم لأنفسهم}(٤)، {وأُبتدئ الخطاب بالنداء ليقع إقبالهم على ما بعده بشراشر قلوبهم، وكان لاختيار استحضارهم عند الخطاب بعنوان بني آدم مرتين ، وقع عجيب، بعد الفراغ من ذكر قصة خلق آدم وما لقيه من وسوسة الشيطان، وذلك أن شأن الذرية أن تثأر لآبائها، وتعادي عدوهم، وتحترس من الوقوع في شركه}(١).

ولأهمية الأسس التربوية التي ذُكرت في السورة الكريمة كثُر تذكير بني آدم بما واجه أبيهم من فقد النعيم لنسيانه عهد الله بفقد عزمه ، فكثُر تحذير بنيه بهذه السورة التي ذكرت قصة الإنسانية منذ نشأتها في الجنة إلى هبوطها منها وانقسامها فريقين في مواجهة المرسلين إلى نهايتها ومصيرها: فريق في الجنة وفريق في السعير، وجاء النداء الأخير في هذه السورة ليبيّن أن العهد الذي أُخذ على آدم أُخذ على كل واحد من أبنائه على حدة: "**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ**

(٣)وهي ما ذكره في سورة الأعراف من فتنة اللباس والأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد وبتصديق الرسل من الآية ٢٦ فما بعدها.

(٤)رضا: محمد رشيد (ت١٩٣٥م) تفسير المنار٨/٣١٨، طبعة أولى ١٩٩٩م ، دار الكتب العلمية / بيروت.

(١)ابن عاشور: التحرير والتنوير ٥/٢٦٤.

بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢)" (الأعراف) عهد الإقرار بالربوبية ، حتى يقطع -سبحانه- عن كل واحد منهم حجة الغفلة يوم القيامة.

وكذلك جاء هذا النداء في سورة الإسراء[٢] بعد الحديث عن قصة آدم مع إبليس لتذكير بنيه بفضل الله عليهم، ومقابلتهم هذا الفضل بالبطر والجحود، فلا يذكرون الله إلا في ساعات الشدة. وكذا في سورة يس[٣] بأسلوب الاستفهام التقريري:"**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠)**".توبيخاً لأهل المحشر من غير المؤمنين، على عبادتهم الشيطان بما يقتضي تذكيرهم بأنهم أبناء الذي كان الشيطان عدواً له.

(٢)انظر قطب: في ظلال القرآن ٣٠/٥.

(٣)انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير ٥٨/١٢

• الخاتمة

اجتهدت في هذه الدراسة لبيان الفروق الدقيقة للمتشابهات الدّالة على الإنسان في القرآن الكريم، وقد توصّلت -بفضل من الله ومنّة- إلى ما يلي:

- إن مفردة (الإنسان) ومشتقاتها هي الأكثر ذكراً في القرآن، وتأتي للتعبير عن الهيأة المتكاملة للإنسان؛ نفساً وعقلاً وروحاً ووجداناً، أو تُذكر في مقابل مفردة (الجان) وتُذكر غالباً في سياق الحديث عن السموات والأرض ويكثُر معها مجيء اسم الله (الحكيم) ولا تأتي إلا ضمن ذكر صفات السلب للإنسان أو بيان مراحل خلقه
- إن مفردة (بشر) ومشتقاتها هي في المرتبة الثانية من حيث الذكر، ولا تأتي إلا لبيان تساوي أفراد هذا الجنس من حيث الكتلة المادية، ثم يُذكر بعدها ما يتفاضل به هؤلاء من معارف جليلة وأعمال جميلة
- لم تُذكر مفردات الدلالة الأخرى كل منها إلا مرة أو مرتين، سوى خطاب النداء (يا بني آدم) حيث ذُكر سبع مرات، خمس منها في سورة الأعراف، وواحدة في الإسراء، وأخرى في يس، وكان يُذكر في سياق الحديث عن قصة آدم؛ لتحذير أبنائه من وسوسة عدوهم الأول الذي أخرج أباهم من الجنة، حيث من شأن الذرية أن تثأر لأبيها وتحذر من عدوه، و ربما لكثرة الأسس التربوية التي تضمّنتها سورة الأعراف كثُر فيها النداء لبني آدم؛ كي لا يفتنهم الشيطان عن هذه الأسس ويجعلهم يتنصلون من العهد الذي أُخذ على كل واحد منهم كما أُخذ على أبيهم من قبل
- ذُكرت مفردة (أنام) مرة واحدة في سورة الرحمن، واختُلف في دلالتها: أهم الخلق جميعهم، أو الأنس والجن، أو الجن فقط، وقد رجّحت كونهم الخلق أجمعين؛ وذلك استنباطاً من الجو العام لسورة الرحمن

- ذُكرت مفردة (البريّة) مرتين، في سورة البيّنة، وقيل إنها مختصة بالإنسان والأرجح أنها تشمل الخلق جميعاً، بقرينة الأحاديث الشريفة التي ذُكرت فيها، ثم موضوع سورة البيّنة، حيث كانت تلك السورة هي النداء الأخير التي تمّ الإعلان فيها أن من كفر بهذه البيّنة: " **رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً (٢)**" البيّنة، هم شر البريّة على الإطلاق؛ فهم أكثر شراً حتى من الشياطين؛ لأن كفر هؤلاء كان عن بيّنة، وقد لفت انتباهي أنَّ هذه السورة توسّطت بين السورة التي موضوعها الكتب القيّمة (القدر)، والسورة التي موضوعها نهاية الخلق (الزلزلة)؛ فجاءت تلك المفردة جوهرة في صرح سورة البيّنة، لا يصلح لها سواها
- مفردة (جبلّة) ذُكرت مرتين: إحداهما في سورة الشعراءو الأخرى في يس، وقد ذكرت أكثر من شبه بين السورتين الكريمتين، وجاءت هذه المفردة في الشعراء في سياق تصوير ذلكم العدد الضخم الذين وقعوا في حبال تزيين الشيطان؛ فطغوا في الميزان، سواء أكان هذا الميزان مادياً أم معنوياً، ثم عرضت سورة يس مشهد أولئك وقد عاينوا جهنم مُلامين على تفريطهم حمل أمانة عهد ربهم
- وبعد فإني أتوجّه بالرجاء إلى أهل القرآن الراجين رضى الرحمن، أن يولوا لغتنا العظيمة جلّ اهتمامهم، حيث هي الوسيلة الكبرى التي بها يتحقق مقصد كتابنا العظيم؛ ألا وهو تدبّر آياته وكسر أقفال غفلة القلوب، والتمكن من تحقيق المطلوب؛ الذي به تنوّر القلوب والدروب

.

أخيراً .. فإن هذا قبس من مشكاة نور مفردات كتاب الله العظيم تنوّر بضوئه قلبي، و قطف من زهر بساتينه سعدت بشذاها روحي، وقطرات ندى من بحر جوده أشرقت بها نفسي، ومنحة من عطاء الكريم المنان هي هديّة ربي، وإني إذ أرجوه–تعالى– أن يوزعني الشكر، إليه أضرع أن

يمُنّ بالفتوح على كل من إلى مثلها بجد يسعى؛ إذ لا تنتهي عجائب هـذا الكتاب الكريم، كما التمس المعذرة من أهل العلم و الخبرة في هذه اللغـة العظيمة،حيث بضاعتي فيحقلها مزجاة، وسفينتي في بحرها عصا، والحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب وآله ومن والاه .

المراجع

١. ابن حجر: أبو الفضل، أحمد بن علي (٧٧٣-٨٥٢هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعـة أولـى، دار الجيل/بيروت.

٢. ابن حنبل: أبو عبد الله احمد الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ) المسـند ، مؤسسة قرطبة/ القاهرة.

٣. ابن عاشور: محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) إرشاد العقـل السليم، دار إحياء التراث العربي /بيروت.

٤. ابن فارس: أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون طبعة ١٩٧٩م، دار الكتب.

٥. ابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشـقي (٧٠٠-٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامه، ، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، دار طيبه للنشر والتوزيع.

٦. ابن منظور: محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، طبعـة أولى، دار صادر، بيروت.

٧. أبو السعود: محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) إرشاد العقـل السليم، دار إحياء التراث العربي /بيروت.

٨. أبو داوود: سليمان بن الأشعث (٢٠٢-٢٧٥هـ) السنن، تحقيـق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٩. أبو حيان: محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية/ بيروت ٢٠٠٠-٢٠٠١.
١٠. الألباني: محمد ناصر الدين(١٩١٤-١٩٩٩م)، في السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف/الرياض.
١١. الآلوسي: شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (١٨٠٢-١٨٥٢م)، روح المعاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية / بيروت.
١٢. البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت ٨٨٥ هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية – بيروت.
١٣. الرازي: فخر الدين، أبو عبدالله، محمد بن عمر بن الحسن التميمي (ت٦٠٦ هـ)، مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة ١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي/بيروت.
١٤. الراغب: أبو القاسم، الحسين بن محمد(ت ٥٠٢ هـ) مفردات القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦١م.
١٥. الزمخشري: جار الله، أبو القاسم، محمود بن عمر(ت ٥٣٨ هـ) الكشاف، دار المعرفة / بيروت.
١٦. الطبراني: أبو القاسم، سلميان بن أحمد (٢٦٠-٣٦٠هـ) المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض،طبعة أولى ١٩٩٥م، دار الحرمين.
١٧. الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير الآملي (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن،المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

١٨. العقاد: عباس محمود (١٨٨٩-١٩٦٤م)، الإنسان في القرآن الكريم، دار الإسلام/ القاهرة.
١٩. بنت الشاطئ : عائشة عبد الرحمن (١٩١٣-١٩٩٨) القرآن وقضايا الإنسان، دار المعارف/القاهرة.
٢٠. رضا محمد رشيد (ت١٩٣٥م) تفسير المنار، ، طبعة أولى ١٩٩٩م دار الكتب العلمية / بيروت.
٢١.عبد الباقي: محمد فؤاد (١٨٨٢-١٩٦٧م)، المعجم المفهرس، دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
٢٢.عسكري : أبو هلال، الحسين بن عبد الله بن سهل (ت٤٠٠هـ) الفروق اللغوية، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية/بيروت.
٢٣. فضل الله: محمد حسين(١٩٣٥-٢٠١٠م) من وحي القرآن، الطبعة الثانية ١٩٩٨م، دار الملاك.
٢٤. قطب: سيد إبراهيم حسين الشاذلي (١٩٠٦-١٩٦٦م) في ظلال القرآن، الطبعة الثانية عشر ١٩٨٦م دار العلم للطباعة والنشر/جدة.
٢٥. مسلم: أبو الحسن، ابن الحجاج القشيري (٢٠٦-٢٦١هـ) الصحيح، دار الجيل/بيروت.
٢٦. مقالة على الشبكة العنكبوتية بعنوان: حقيقة الإنسان في القرآن الكريم، دون بيان لاسم الكاتب.
٢٧. النووي: أبو زكريا، محي الدين يحيى بن شرف (٦٧٦هـ) الأذكار، تحقيق: عبد القادر الأرنؤط، طبعة ١٩٩٤م، دار الفكر للطباعة والنشر/بيروت.

فهرس البحث

ملخص البحث..... ٤٨٣
مقدمة ٤٨٤
مسوغات الدراسة: ٤٨٤
منهج الدراسة: ٤٨٥
المبحث الأول في بيان الفرق بين مفردتي (إنسان
ومشتقاتها، أو بشر)..... ٤٨٦
الإنسان : ٤٨٧
بشر :..... ٤٩٤
المبحث الثاني في مفردات الدلالة الأخرى ٤٩٦
أنام: ٤٩٦
البريّة:..... ٤٩٧
جبلّة : ٤٩٩
يا بني آدم :..... ٥٠١
الخاتمة..... ٥٠٥
المراجع..... ٥٠٧
فهرس البحث ٥١٠